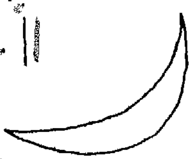
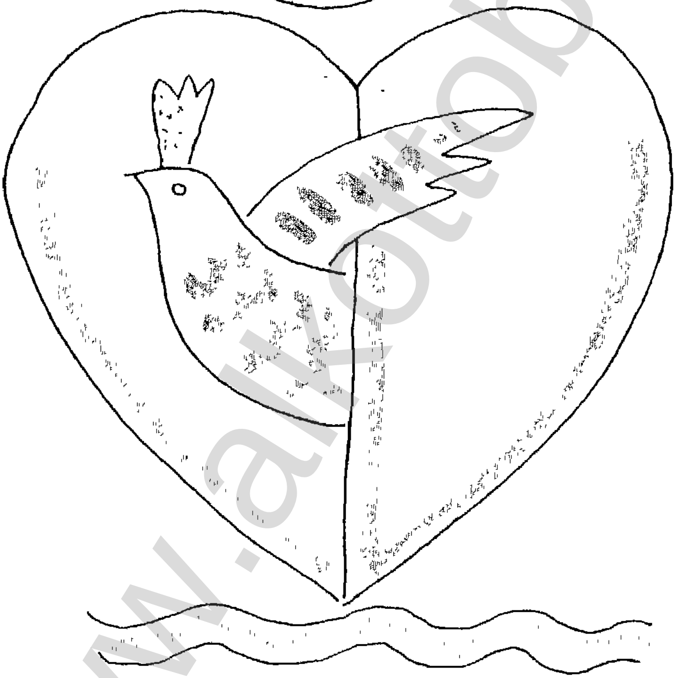
رعشة في الأفق

شعر

أحمد سويلم





دار الشروق

رعشة في الأفق

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk, com.

شعر

أحمد سويلم

رعشة في الأفق

دار الشروق

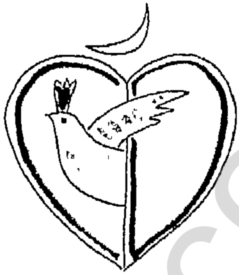


البـدء

سَفَرٌ أنت
والجناحُ على متن هذا الفضاءِ.. يطيرْ
أترَيْن..
بلغنا من الأفق سِدرَتَهُ
أم تراقُبنا من بعيدٍ عيونُ الصقورْ
بدأ الدربُ من خطوةِ الشوق
والحلمُ من نبضة العشق
والشعرُ من دفقةٍ فى الصدور

كيف هذا الزمان الذى لا يمر سريعًا
مرّ يختطف القلبَ مثل الأثير ؟
كيف أمسى بقبضتنا نتحكم فيه
ونعلنُ عصيانَنا
كى نمهّد عمرًا جديدًا لنا
ونمدّ الجسور..
هكذا انطلق الطيرُ من فتحة القلب حرًا
نعلّمُه كيف يغزو الفضاءَ الكبير..
وكيف يحطّ على كوكب العشقِ
يمطر أحلى الرسائل
أصفى القصائد..
يلبسُ تاج الأمير..
إنه الآن مهّد للقلب
أن يتدفّقَ
للعين أن تتألّقَ
للعشقِ أن يتخلّقَ
هل نشبعُ الآن
أم أن ما بيننا ممعنٌ فى اختراقِ السّتُورْ..

إن ما بيننا الآن
لا يعرفُ المستحيل
يحطِّم أعتى القيود
يصارعُ قَهْر الزمان
ويُعلي منارات هذا الحنين الأثيرْ
إن ما بيننا بدأ الآن
منهمرًا .. طيبًا .. وغزيرْ ..
قدرٌ فاجأ القلبَ بالدفءِ
ثم استوى
شامخًا .. ونضيرْ ..!

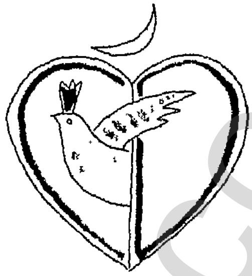


عــودة

تلوحين فوق الروابِى
فتطلعُ شمســِ التى غَربتْ منذ حينْ
تغيبين عنّى..
تكفُّ الينابيعُ.. يحترقُ الياسمينْ
وحين يسائلنى الشعرُ عنكِ
أجيبُ بأنك ديوان عمرى..
ودفءُ السنين
وأنى يصادقنى الحزنُ

حين يباعدُ بينى وبينكِ
هذا الزمانُ الضنينْ..
أحبك !
أعلنها فى جبين النجوم
وفوق شراعِ السَّفينْ
وأرْقى على حلمها فارسًا
فأطرّزُ منها الحكايا
وأنحتُ منها لغاتى..
وأكملُ ملحمةَ العاشقينْ
وحين أراكِ على صفحةِ النور
أسرعُ.. ألمسُ قلبكِ
حتى لو احترقتْ نَشوتى فى الجبين
وحين تشدِّين خطوَكِ
يعبرُ جسْرَ الأنين
أضمك تحت جناحىِ
فيسرعُ خطوُك فى لهفةِ العابرينْ
أحبك !
حتى لو احترقت كلماتى

وأدمى اشتعالى إليك
افتقادُ اليقينْ..
تغيبين عنى..
تلوحينْ..
وحتى الجراحُ التى مزقتْنا
غدتْ جمرةً توقظ الروحَ
مشبوبةً بالحنينْ!



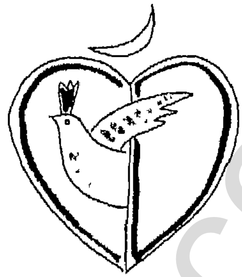
اللقـــاء

حين تصافحنا
حوّم سربُ حمام أبيض
فوق يدينا..
حين تلاقت أعيننا
فتح الموج الأزرق.. فوق الشطِّ ذراعيْه
للموجِ الأسْود..
همستْ شفتانا بمساءِ الخير
فتدحرج فوق الخدين

شعاعُ القمر السَّاهر
سألتنى: من أنت؟
وأنا أشهد فى أحرفها نبضَ القلب الحائر.
سألتنى: من أنت؟
قلت لها: شاعر..
نزعت من كفىٍّ يدَها فى قَلَقٍ
همست: أنا أخشى الشعراء
ألم ترهم فى كل مدىً كالخطوِ الخاسِرْ؟
قلت لها: أعلم..
- ويقولون القول الساحر
قلت لها: أعلم
قالت: يتّبعهم الـ..
قلت لا مبتسمًا:
محال أن يحيا الشاعر
ولا يملك من دنياه
جناحى طائر
صاحت: هذا عين الكِذْبْ
قلت لها: أعذب شعرَ أكذبه

قالت : وأنا أكره كذِبَ الشعراء
قلت لها : آه من كذب الشعراء
هو أجمُل حسّ تحملُه الكلمات
هو نبضُ الصدقِ المتدفقُ من قلبِ القلب ..
صمتت لحظات ..
فإذا عصفور الحلم يُنَقِّرُ فى شوقٍ
فوق الجفنينْ ..
مدت يدها ثانيةً قالت :
ما أجمل أشْعَارَكَ حين تُجن
فلنبدأ قصة حب لا تتوقف ..
ولنشعل جذوة دفء لا تُطفأ
فزتَ الآن بقلبى يا أصدقَ شاعْر
فزت الآن بقلبى ..
ما كنتَ الخاسرْ !

* * *



الوعد والميلاد

ـ وطنى القصيدةُ
طوَّقتْنى..
لكنَّ وجهكِ بابُه الوردى
يأخذنى إلى دفءِ الحروفِ المطمئنَّة
وأرى سنا عينيكِ يسْرى فى دمى
فيفجر الشوق الذى هاجرت فى
ملكوته عمرًا
وأشقتنى خطاه..

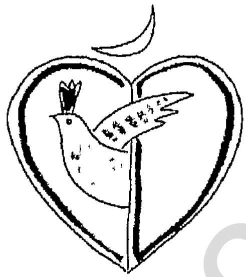
- وطنى القصيدةُ
حين أرسُم وجهَك القدسىَ فيها
أسطورةَ الزمنِ الذى عَصِىَ الزمان
شقَّت بحارُ الليل نجمًا من أمان..
- وطنى القصيدة
فامنحينى جُرعةً من نبعكِ الصافى
وجودى..
هذا أوانٌ تثمرُ الأشواقُ فيه
وربما يغشاه موجٌ فى غدِ
فتجفُّ أحرفُنا على شجرِ الأنين
دقَّتْ هنا أجراسُ حلمى المستحيل
أحزانُنا خضراءُ - أعلمُ -
بوْحُنا جمرٌ عليل..
وغدٌ على جفْن الذُّبولْ
فبأى لونٍ نزرعُ الآفاقَ
حتى نستعيد الشمسَ من كهف الأُفول
- وطنى القصيدةُ
طلقةٌ من زفرة الأرضِ المواتْ

وشمٌ على ماضٍ وآت..
دمعٌ على هذا الرفات..
هى أضلعى مهدتُها طرقًا إليك
أطلقتُ فيها سكرةَ العشقِ التى
لا تنحنى للريح..
لكن تصطفيها الطيُر سرًا لا يضيع
وأظل أرسم فى العيونِ
خرائط الميلاد..
لا أبغى الرجوع..
- وطنى القصيدةُ
لُمى أوراق عمرى
واصنعى عقدًا يطوق جيدَكِ الذهبىَّ
إنى أصطفيكِ غزالتى
سيفًا على زمنى
مدائن أحرفى..
لا شىء يطفئُ لهفتى
إنى اصطفيتُكِ والجراح على ذراعى
طهّرتنى..

أظمأتْ عمرى
فعادتْ خطوتى
وعدًا يضىءُ بلا انطفاء..

٢٠٠١_٧_١٧

* * *

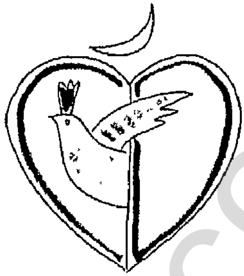


لهفــة

يا قوتةَ الروحِ
جودى السّنى.. جودى
وجمّلى زمنى..
واشفى مواجيدِى..
الشعر أوسمتى
والبوح أجنحتى
لكنكِ الأفُقُ الشّادى أغاريدى
قد أوسعتنى رياح الليل عاصفةً

وأمعنت..
وشوَت فى جمرها عُودى
وخاصمتنى ـ سنينًا ـ خطوتى
ألمًا..
وأسقطت غربةُ الدنيا عناقيدى
ما كنتُ أعرف..
أن العشقَ لؤلؤةٌ
لو لم أجُدْ بدمائى استرخصتْ جُودى!
هذا دمى..
مُزجتْ فيه تراتيلى
وذاك عمرى
احتمى فى حلم مولودِ
لأبدأ الزمن الآتى
وفى كبدى..
جمرُ اعتصارٍ
وشوقٌ للمواعيد!

* * *

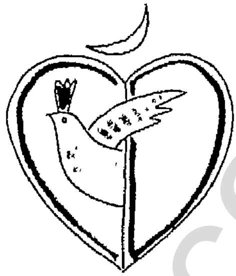


عروتنـــا وثقـــى

عروتُنا وثقى
لا تنفصمُ ولا تتمزقُ فى الريح
عروتنا وثقى
تجعلنى فارسَك المحبوبَ
وربانَ سفينتك
وشاطئك الآمن
عروتنا وثقى..
تمتد مدارًا حول الكون

تحدّثُ عنك نجومَ الليل
وكل الألواح بظهر الغيب
عروتنا وثقى..
مهما عاندت الأيام
ومهما انغَلَقَتْ كفُّ الزمنِ علينا
مهما سقطت أشجار الدرب
عروتنا.. سوف تعيدك ثانيةً لى
أجمل..
أطيب.. أنقى عشقًا
لأوافيك وأفتحَ لك أحضان الشوق
عروتنا وثقى..
لا تقبل أن تنفصم ولا تتفتتْ
عروتنا
لا تقبل أن نسقطها من أيدينا
أو نجعلها تُفلتْ!

* * *



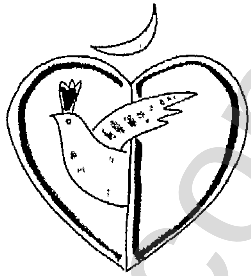
عودى لأشعارى

عودى لأشعارى
ترويك من نبعى.. وأنهارى
تُدنيك من بستانِ أزهارى..
عودى لأشعارى
تحنو عليك بهمسِ أوتارى..
تعطيك من نورى.. ومن نارى..
عودى لأشعارى
الحلمُ فيها طيبٌ

والشوقُ موجٌ عاصفٌ
يسرى بأسرارى..
والدفء..
يا للدفء فى حسّى وفى بوْحى..
وإضمارى..
عودى لأشعارى
لو جاءك الشعراءُ يومًا بالقصائد
يعصرون نجومهم فيها
لما صمدت أمام قصيدة منى
تسْقيك من صفْوى وإيثارى
لو أزهقُوا فى ساحة الأحلام أحرفَهم
لما بلغوا شَفَا حرفِى.. وإصْرارِى..
عودى لأشعارى
أنت التى عاشتْك عمرًا
واصطفْتكِ عيونَها.. وشِفاهَها
ودماءَها..
وتشبثت بك فى مدى الإعصارِ
أنت التى أحييتِ فيها النبضَ

حتى باح بالأسرار..
فأتتك بالعشقِ الذى هزَّ الجبالَ
وزلزلَ الأحجارَ
واخترقَ المدى.. وأطاح بالأسوارِ
عودى لأشعارى
أو فاقرئى ماشئت غيرَ قصائدى
كى تدركى صدقَ الشموسِ وبهجةَّ الأقمارِ
عودى لأشعارى
فمنذ عشقتُ قلبَك
لم أحِدْ عن نوره الموثوقِ فى نبْضـىِ
ولم أعرفْ سوى
تلك التراتيلِ التى
تصفو بأشعارى..
عودى
عودى لأشعارى!

* * *

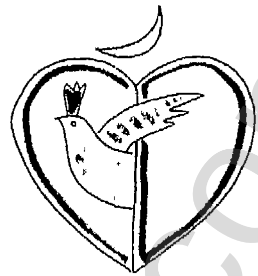


الخلــود

هذه ليلةٌ
هربتْ من ليالى الزمان
حين أعلنتُ عشقى
وكانت عيونُك حلم المدى
وسنا الملكوتْ..
أنت ياربةَ الحب..
جودى علىّ بشهدِ الورودْ
فأنا عاشقٌ لا أملّ النشيدْ

وأنا راشفٌ عسلَ الحلم
من مقلتيك..
ولا أرتوى منه..
لست أحسّ الشِّبَع..
هذه ليلةُ القدْر تجمعُنا
يستجابُ دعاء المحبين فيها
وها هو نورٌ يطلّ علينا
يباركُ ما صار بينى وبينكِ
يمنحنا باقةً من شراب.. وقوت!

* * *

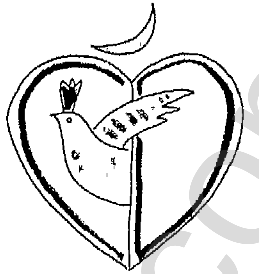


أمثـولة

يحكى جدّى
عن عصفورٍ برّى لم يصدح بغناء بعد
لكنْ يأتيه صباحا وينقّر نافذتَه
ويقول كلامًا لا يُفهم..
ثم يطيرُ إلى شجرة جُمّيزٍ
يستدفئُ فى عشه..
ويعود صباحًا يأتيه..
....

ذات صباح جاء العصفور
ونقر نافذتَه..
لكن لم ينطقْ بكلام..
أدرك جدّى ماذا يخفى الصمتُ لديه
كان يريد وداعه..
يبحثُ عن نافذة أخرى
تدركُ ماذا تعنىّ كلماتُه..
الجد أشار إليه بدموعه
لكنّ العصفور البرىَّ
تعثّر فى أسلاكٍ نارية
فاحترق عليها..
كى يصدح فى عالمِه الآخر
بالنغم العذب!

* * *

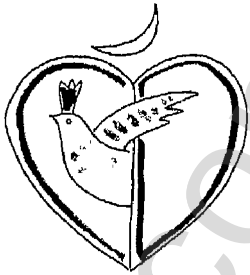


الســـر

صخبٌ فى ضلُوعى
وأسطورةٌ تنْبجِسْ
ثم تصعدُ مرقأةً
فتطلّ عيونُك منها
ويصفو القبسْ
فأسائلُ عنك النجومَ
أسائلُ عنك الرياحَ..
ـ فضائيةٌ أنت..

بريئةٌ أنت
مائية أنت
أم أنت سرُّ المدى المحتبَسْ؟
أى ضوءٍ أرى يخرقُ الليلَ..
أمْ..
أى همسٍ يبدّدُ هذا الخرسْ
وأنا العشقُ بين ضلوعىَ كرمةُ خمرٍ
وإشراقةٌ فى الغَلَسْ
حسبىَ الآن أسألُ عنكِ
ولو عزّ منك الجوابُ
فإنكِ فى داخلى نبضُ حسْ
حسبىَ الآن أنك أسطورةُ العشق
والحلم..
أو خلسةُ المختلسْ..!

* * *

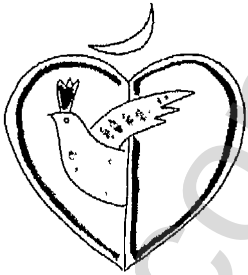


قيثـــارة

مقتحمًا كنتُ لها
بسلاح العشقْ
ذبتُ بعينيْها وببسْمتها النورانيةِ
ومداها الطْلقْ..
أطلقتُ عليها اسمًا لأدلّلها..
لا يعرفُه غيرى
لتكون لقلبِى واحدةً
ليس لها سبْقْ..

أشهدُها ـ حين أراها ـ
عذراءَ بحبى..
لم يمسسْها بشرٌ قبْلى
فأنصّبُها أجملَ ما أبدعَه اللهُ
من الخلْقْ..
هى لى قِبلةُ عمرى
قيثارةُ عشقى
لهبى..
أسْكرُ فى حضرتها سُكْرًا
يفقدُنى النطقْ..
فتناجيها كل لغاتِ الشوقِ بلا صوتٍ
وأحسُّ بأنّا فى أسْرِ الحبِ معًا..
ليس لنا عِتْقْ!

* * *



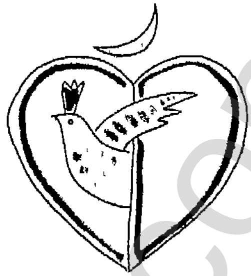
صــورة

[عن لوركا]

امرأةٌ تتثنّى فى مِشْيتها
يتبعها عشاقٌ أربعةٌ
صعدتْ تلاً..
صعدوا معها..
مرت لحظاتٌ
عادت تهبط بثلاثة عشاق
التفت الجسدُ النورانىّ يمينًا
غشّاه ضبابٌ

حين انقشع ضبابُ الجسدِ
ارتسم على مرآة التل..
جسدُ امرأة يحرسُه اثنان
التفت الجسدُ يسارًا وخطا خُطوة
ولّى أحدُ الحراس خطاه يمينًا
غاب بلا عودة..
الآن توحد فى ساحات العشق الوهميةِ
جسدان..
لكنّ التلّ انكفأ على نفسهِ
فغدا مثوىً للحلمِ القادمَ!

* * *



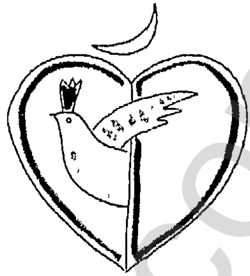
احتــواء

يا أيها البعيد..
حينما..
تمر بى فى لحظةٍ
هاربةٍ من زمن اللّقاء..
كيفَ لا تنظرُ لى
من فتحة القلب..
وتطلق النداء..
وكيف لا أشعرُ

أنكَ اقتربت منى
حانيًا
فى لحظة احتواء؟!

٢٥-٣-٢٠٠١

* * *



احتـراق

حلم بحجم الكونِ..
أسكرنى..
أسلمتُه نفسى.. فأغرقنى
قطّرتُ بين يديه ذاكرتى
وضمَمتُهُ دفئًا
فأشبعنى..
أهواه.. أم ألقاه منذُ متى
والعمُر بين يديه يعصِرُنى

أشقى..
إذا أغدو له ألمًا
وإذا احترقتُ له.. يُلمْلِمُنى
حلم بقلبى..
إن شقيتُ به
إذا دنوتُ إليه.. يُشعُلنى
أرضاه يومى
واكتمالَ غدى..
وهوىً أذوب به..
فيدفئنى!

* * *



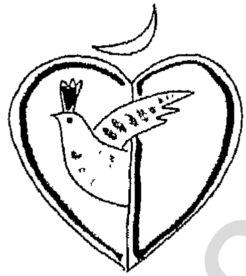
تميمـة

أخشى احتراقَ الموج فى عينيك
أفقد بعدها شطَّ الأمان..
أخشى احتدام الصمت فى شفتيْك
يصعقنى على سيفِ الزمان
شِعرى اقترابُك.. واعتصارُك
واستعارُك فى دمى..
وتميمتى.. عيناك..
حين تعِزُّ فى الدنيا التمائم..

أرضى ابتلاعَ النار..
حين أرى وعودَك تحتوينى
تنقشُ الوشمَ المقدسَ
فوق صدرى..
أفتديك.. وتفتدينى..
فإذا تناءينا..
فخيطُ العشقِ موثوقٌ بقلبينا
تهبّ النارُ.. تشحذُه
وتمنحه اختراقَ الصخر..
عصفَ الموج.. إرعاد المطرْ
ها قد قرأتُك سيرةً للوردِ
للعشق المباغتِ
للتواريخ التى لم تأتِ فى كتبى
ولم تُلفح بتدوين الأثَرْ..
تأتين أنت
تؤرخين.. وتعشقين
وترسمين على شفاهىَ
ألفَ أغنيةٍ

لأنك تملكين توازنَ الأحلام
فى قلبِى..
وتُجرين الجداولَ مُرةً.. أو حلوةً
وتواعدين.. تواعدينْ..
حتى إذا نادى الحنين..
ضممتُ صدرك مرتينْ
وتفجّر الشعر المعذّب داخلى
وخشيتُ صمتك
واحتراق الموج فى عينيك
يصعقنى على سيف الزمان!

* * *

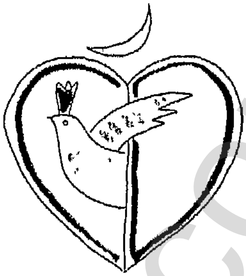


طقس

طينتى ودَّعتُها
منذ عشقتُك
وشربتُ النورَ من كفيك
واسترخيتُ حلمًا فوق عرشِك
أعصرُ الخمرةَ من خدّيكِ
أجتازُ سماواتِ الليالى المَعتمة
فأنا فوق جناحيكِ أطير
وأفكّ السّحَر عن أحجار دنيايَ

وأتْلُو من تعاويذى
فيدنو الكونُ فى كفىّ
ناموسًا من العشق الحلالْ
ورؤىً ليس لها أىٌّ مثالْ
....
آه يا واحدتى
كل طقوسى فى يديك
لأراكِ
نعمةَ الله إلى الكون
وآياتِ الشهودْ
وصلاةَ الحب فى الليل..
وأسرارَ الوجوْد..
ها أنا دِنتُ بدين الحبِ أنى أتوجَّهْ
فإذا بددنى الشوقُ
فإنى أتأوّه..
وبوجْد العشقِ أغدو
سيدَ العشقِ المفوّهْ..
أسكبُ الدمعَ على الغائب من عمرِى

وأشدُو.. وأُنَهْنهْ..
فيشفّ القلبُ..
يُلقى طينةَ الأرض إلى الأرض
ويشفينى تلاشيه كأنى أتألّهْ
آه.. يا واحدتى..
إنى بعشقى بك أشْبَهْ
نزوتى إشراقةٌ فيك
وسكرى يتنزّهْ
عذبتنى طينتى عمرًا
وآن الآن أن أرشف
من وردِىَ شهدَه!



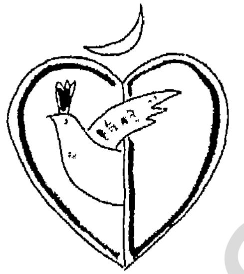
النبــوءة

آيةُ الحلم أقرؤُها فى عيونِك
يا امرأة من لظى الشمسِ جئتِ
فأدفأتِ قلبى..
وأجريت عبر الشرايين عمرى
وجددتِ شعرِى..
فألقيتُ فوق يديك قوافيهِ
عطّرتُ دربكِ بالأحرفِ
المستحمةِ بالنورِ

واستيقظت من غيوم التواريخ
أوراق عمرى..
أنا شاعر لا أُفيقُ من الشعرْ
أنا عاشق لا أفيقُ من العشقْ
لكنّ حلمى بك الآن حسٌّ جديدٌ
على جرح عمرى يضىء..
ويكتبُ فوق حوائطِ هذا الزمانْ
سيرةً للجنون!
لستُ قيسًا جديدًا
ولكننى جُنَّ فىَّ دمى..
فتقاطر يحكى زمانًا من القهْر
كان علىّ أبدّلُ جلدى
أجدّدُ بين الخلايا دمى..
وها أنذا فى زمانِ البلاءِ
أوافيكِ مكتملاً
أرتوى من جراحى..
أجيئُك قلبًا جديدًا
أصلّى صلاة الجنون

أصلّى لعينيكِ
للحلم أشهده كالنبوءةِ
يمنحنى الخُطوةَ المستَحيلة !

* * *

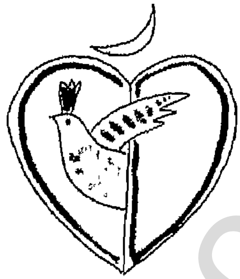


غـزالـة

يوم سوَّيتُها فى يدى
زنبقة..
أثمرتْ فى ضلوعى
تنوّر فى داخلى وجُهها
فارتقى يمنح العطْر أشجارىَ المجدبة
وتلفّتَ نحو الصحارى
فأضحى غزالةَ عشقٍ وأسطورةً
تقبضُ الشمس..

كانت تردد أغنية الشّوق
والخضرةَ المخصبة..
من ترى الآن يمنحنى قدرةَ العدْوِ
حين تهبّ العواصفُ حولى..
وتنظُرنى الأعينُ الحانية..
فأصارع خطوى..
أعانق خطوَ غزالةِ عشقى
وأعصرُ فى دَنّ عمرىَ
خمرةَ أحلامىَ القادمة
من ترى الآن يمنحنى قدرةَ العدْوِ
والرؤيةَ الصادقة!

* * *

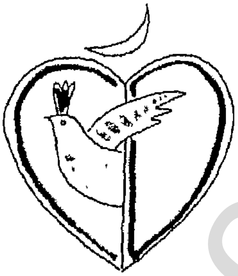


الجـوقـة

لمحتها...
تحاور النجومَ والأقمارْ
وترتدى ثيابها البيضاء.. كالنّوارْ
لمحتها تمسكُ فى يمينها عصاً
تشيرُ للعواصف الهوجاءِ
أن تكفَّ..
لا تمسُّ ذلك المدارْ
تسمّرت عيناى فى عيونها

غنيتُ أعذبَ الأشعارْ
غارت كواكبُ الليلِ
وحاولتْ تعزفُ مثلى..
أجملَ الأوتارْ
لكنها لم تستطع..
رأيتها .. تهبطُ من مدارها.. وتكتفى
بأن تكونَ لى الجوْقةَ
تحملُ فى لقائها العطورَ والأزهار!

* * *



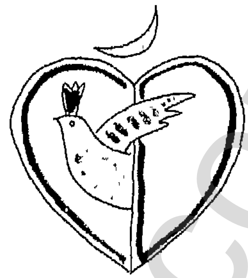
النشـيد

لأننى استعدتُ فيك
الحلمَ والنماءْ..
والنورَ والبهاءْ
والدفءَ حينما يضمُّنا
فى لحظةِ ارتواءْ
لأننى استعدتُ ما كنتُ افتقدتُه
فى لحظة انطفاءْ..
أطيرُ - يا واحدتى - الآن

إلى مدى الفضاءْ
أحملك الآن على جناحىّ
وأوصى الشمسَ أن تكون حانية
والريح أن تصير بيننا رُخاءْ
هذا أنا الآن
أبدِّلُ الجلدَ..
أبدّل العظمَ
أبدّل الدماء..
أنظرُ فى عينيك حلمىَ الذى
كادَ يضيعُ من يدى.. هباءْ
أدركُ أننى فى كلِّ مرةٍ ألقاك
كأننى للمرةِ الأولى أراك
يلفحنى لهيبُ الشوق والحنين
فأذوبُ فى اكتواء...
هذا أنا الجديدُ
والوحيدُ
والفارسُ
والعاشقُ

والنشيدُ
والنداءْ
لن أكفَّ فى ليلى وفى نهارى
أن أصوغَ من نجومى وشمُوسى
قلائدًا لصدرك الحنونْ
تحميك من عيون الحاسديْن
لن أكف فى ليلى وفى نهارى
أن أملأ الكأسَ بعشْقى لك
أن أظلَّ كلَّ لحظة
فى لهفةٍ يرقصُ فيها القلب
تبرقُ العينانْ..
تقبضُ فوق حلمىَ اليدانْ
أصطفيك من كل النساءْ
لأنك الآن بقلب القلب واحدة
عرشُك مشدود لأنجم السماء!

* * *



لحظة دفء

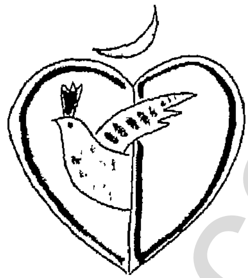
إن لم تقبلْنى فى ظل عطائك
إن لم تُدخلنى فى دفئك
سأظل الهاوى فى جُبّ العتمة
سيظل صقيعُ الدنيا فى قلبى
وجحيمُ الدنيا فى عينىّ
وسآوى للجبلِ فلا يعصمُنى
وسأرنو للشمس فتصعقُنى..
إن لم تقبلْنى

فمن يغفرُ ذنبى
ومن يتجلّى فى قلبِى
ومن أدنو منه.. ويدنُو منى
ومن أدعوه.. حتى لا أقنط من رحمتِهِ
ومن إذ ينسانى كلُ الناس
أراه يذكرنى..
إن لم تُدخلْنى فى دفئك
فمن يحمينى من برْد الإثْم
ومن ينشُلُنى من جبّ السُّقْم
ومن يحلُلْ عقدةَ قولى.. فأكفَّ العُجْمْ
ومن أرضاهُ يزيّنُ قلبِى بالحب..
ويحيينى من صمتى
ويبعثنى من موتى..
ويمنحنى أجنحة الشوقِ
إلى ملكوتهِ
إن لم تقبلنى..
فما جدوى الدنيا فى هذا الزمنِ الصعْب
وأنا أشهدها فاتنة الوجهِ

وسوداءَ القلبْ
إن لم تقبلْنى
فانثرنى عشبًا وفتاتًا وهوامًا
تذرونى الريح..
فتمحو من لوح الدنيا ذكراى
وتظلّ الأرضُ تدور.. تدور!

١٢-٢-٢٠٠١

* * *

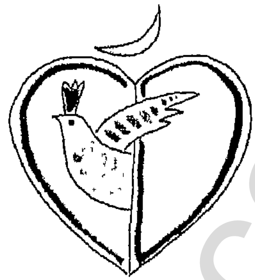


قول.. وقول

للنيل يقول:
احملْنى فى موجك
طهِّرنى فى طمْيك
زدْنى من خصبك
قال النيل:
سبعةَ آلافٍ أجْرى
بين شرا يينِك..
دعنى أنتظر الآن

أن تحملَنِي لحظاتٍ
فى قصةِ عشقك !

* * *



الرّهان

لو أنه الصَّدَى
شقَّ إلى نصفين صدرَه
وأشعلَ البحارَ فى عيونِه
بالموجِ مُزْبِدا
لو أنه الصَّدى
أعاده من حيثُ عمْرُه ابتدأ
لو أنه استطاعَ أن يزرعَ
فى السهولِ.. والوهادِ.. موعدا!

....

لو أنه الزمانْ
دقَّ على طريقه الأوتادَ والعيدانْ
وخيَّمَ الصفصَافَ والليمونَ والنخيلْ
وأسْكنَ العواصفَ الهوجاءَ.. والطوفانْ
لو أنه الزمانْ..
كفَّ عن اغتياله ـ لمرةٍ ـ وخَسِر الرِّهانْ..
لو أنه الشَّغَفْ
أطْلقَ خطوَه.. وجاوزَ المدى والمنتصفْ
لو أنه الشَّغفْ
لم يستجبْ لأعين الجرذانِ
عند المنعطفْ..
فقطّر الأوجاعَ من دمائه
وصاغَ من لهيبها النُّطفْ
لو أنه الشَّغفْ
أحالَ جرحَه مسافةً
فحطّ طائرُ السَّكْرة نشوانَ
على الكتفْ..

....

لو أنه ارتحلْ

يبحثُ كيف يرتوى من حرقةِ الظمأُ

تشهقُ عيناه إلى السّنى

وتكْتحلْ..

لو أنه أعطى لكل شىءٍ ظهرَه

وراحَ يشتعلْ

لو أنه تجرَّد ـ الأمس ـ من القشرة

وارتمى فى لهبِ الشّوقِ بلهفةِ التَّملْ...

لو أنه!

لكن أحلامَ الخُطى فى كل مرةٍ

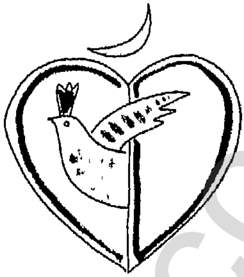
تعجِزُ أن تضىءَ صدرَه

وها هو الآن ـ كأى مرة ـ

يطيلُ من وقْفَتِهِ على الطّلَلْ!

١ـ١٠ـ١٩٩٩

* * *



الارتحال فى شرايين الجسد

ـ قفا نرتحلْ مرةً
فى غبار العيون..
ننقب عن وجع الشوقِ
نُحصى هشيمَ الخطى المُسْرعة
هدوءًا.. هدوءًا.. بلا قعقعة..
ذبُلَ الوردُ فوق الأكفّ
كأن الذى ظل حلمًا ـ طويلاً ـ
هو الآن لا يتّقى مصرعَه..

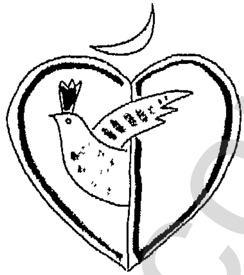
إنه الآن يتْركُ بعضَ رماد
ورائحةً لخريف يؤذّن بالقَهْرِ
يسألُ: من يا تُرى ضيَّعه ؟!
فهل بَقِىَ الآن ما يجعلُ الروحَ نجمًا
وهل بقىَ الآن ما يجعلُ القلبَ مُلْكاَ
وهل بقىَ الآن ما يجعلُ الخطوَ شوقًا وجمْرًا
ـ قفا نرتحلْ مرةً
فى شرايين هذا الجسَد
يواجهُنى تحت هُدْبىَ طيفٌ عنيد
ـ قلتُ للنفس: مهلاً
ربما كان حلمًا قديمًا
صدىً لنداءِ تدفَّق يومًا
على شفةِ الريح
قالت النفسُ: أمْسكْ عليك اتّزَانَكَ
وانظر لتشْهَدَ فصلَ القناديلِ
حين تغيمُ.. ولا تجدُ الزيتْ..
وانظرْ لتشهدَ ما كنتَ تحسَبُه آيةً فى التراتيل
كيف غدا سِفْرَ قهرٍ وموتْ..

وانظر لتشْهدَ من كان قزْمًا
وقد بُعثَ الآن فى الناس أرفعَ سمتْ!
- قلتُ للنفس مهلاً
ربما أشرقتَْ فيهم الشمسُ
من قبل أن تطلُعَ الشمس
فغذّت خطاهم..
وأشعلت الوجدَ فيهم
وخلَّفَتِ الخوفَ فينا.. وبعضَ العلَلْ!
صاحتِ النفس: أمْسك عليك اعتصارَكَ
وانظر لتشهدَ أنك لسْتَ من الحاصِدينَ
ثمارَ الكرومْ..
ولسْتَ من العاصرين حليبَ الأباطيل
بين أكفّ اللئيمْ..
ولسْت من الطارقين صباحًا
دفوفَ الرياءِ لكل ذميمْ
- هل عددت أصابعكَ الآن؟
صلّ لربك أنَّ أصابعك العشر عشرْ..
وأن قصائدك الألف ألف

وأن خطاك اشتعالٌ
ووجهَك لم ينكسرْ فيه أنفْ
أمسكْ عليك اعتصارك
ودعْ كلَّ هذى العروشِ لأصحابها
فغدًا تتهاوى..
وليس يدوم سوى الشعرِ - متّقِدًا -
ليس يطفؤه القهرُ
ليس يدوم سوى الشعر - مرتحِلاً -
ليس يوقفُه ضجرُ المارقين!
....
قفا نرتحلْ فى شرايينِ عصرِ المَنُون
نَدُقُّ على حائط الليل..
نُسْقطُ أعتى الحصُون
قفا نرتحلْ فى غبارِ العيون
وإن سلقونا بألسنةٍ
أو رَمَوْا بالجنون!

٢٠-١٠-١٩٩٩

* * *



الميلاد الآخر

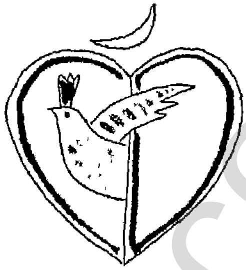
الزمنُ احتالَ عليّ
فرافقتُ الأشباح
وجبتُ دهاليز الريح
وصادقتُ وحوش الغاب..
أرفض أن ألبس أقنعةَ المهزومين
وأن أتحدث لغة المقهورين..
وأخطو.. أخطو..
لا تجذبنى الأرضُ

ولا يغرقنى الموج..
أجد بُراقِى منتظرًا خارجَ أسوارِ الزمنِ
فأصعده.. يصعدُ بى..
نتجادل حول نوائبِ عالمِنا
فأراه التزم الصمت..
أثرثر مأخوذًا بالدهشة
أعلنُ أنى دَرْويشٌ فى مَلكوتِ البوح
علَّ بُراقى ينصتُ لى
فيمدُّ إلى أذنى حبْلَ اللغةِ الغائبة
ويحشرنى تحت لواء الحكمة
يمنحنى عودَ بخورٍ.. جُمَّارةَ نخْلٍ
نطفةَ ميلادٍ للغد..
لكنَّ الزمن احتال علىّ
فسلبَ ضياءَ العينين
وسرَق المدَّخَرَ بصدرِى
وانفلتَ يباهى بالفوز علىّ
- الآن أصارع قدَرى كى يمنحنى ميلادًا آخر
لا يثقله الزمنُ.. ولا يشقيه الحزن..

ولا تنفيه الريح
ولا تتلقفه ألواحُ الموت
الآن أسائلُ قدرى:
ماذا ينقصنى..
وأنا خاصمتُ الزمن طويلاً
أعطيتُ له ظهرى..
ورحلتُ بعيدًا عن ملكوتٍ يْنأى عن أرْضِى
فلعلى أجد الشوق الناضرَ..
أمنحُه زمنًا من صدْرى
أمنحُه عمرًا محتدمًا لا يطويه الصمت
ولا تكسره الريح..
ولا تنفيه اللغة الغائبةُ
ويكتبُ لى ميلادًا آخر..
يكتب لى ميلادًا آخر!

٣ - ١١ - ١٩٩٩

* * *



مملكة النار والأشجار

لكأنك صرتَ الفارسَ وحدَكْ
تتوهّم أن البوابات السَّبْع
أقواسُ ورودٍ تشتاق إلى طلعةِ وجهِكْ
وكأنك صرتَ العاشقَ وحدكْ
تتوهّم أن قصائدك الألف
تُفلح فى جذبِ قلوبِ المحظياتْ..
....
لم تدرك أن الزمنَ القادر

يُحرق كلَّ صباحٍ جلدَ الوجْه
ويشْوى كلَّ مساءٍ عظْمَ الصدْر
وتظلّ الريح..
تحملُ فى الفلواتِ دخانَ الوجعِ
تُذَرِّى فى عينِ الشمسِ رمادَ الشَّوق
لم تدركْ أنك فى مملكةٍ أرضيّة
تتصارعُ فيها ألسنةُ النَّار
وتصطرعُ الأشجار
ولا تتوقفُ فى القلبِ جراحُ الأسْرار
- لم تدركْ أنك مشنوقٌ من حُلقومك
حين تبوح
ومقهورٌ فى حسِّكَ حين تنوح..
ومذمومٌ تتخفّى
إذ حلّ بهذا الزمن القاهرِ دمُك المسفوح
أتريدُ الآن رداءَ الغُربة
يمنحك عبورًا لبلاط العرْش
أم أنك تحلُم أن تصبحَ صقرًا ملكيا
تنقضّ على أروقةِ الرغبةِ

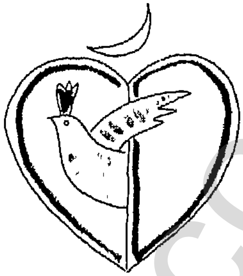
تغنمُ .. تسكرُ ماشئت

....

ـ قفْ والتفت الآن
أطلقْ ساقيكَ إلى ما قبلَ صعودِ
التل المنهارْ..
أنزِلْ عن وجهكَ أصباغَ الزمنِ
ولا تطمعْ فى مملكة النارْ
واجعلْ بينكما أدغالاً .. وقفارًا ..
وبحارْ..
عُدْ.. حيثُ صباحًا ودعتَ ظلالَ الأشجار
واجعل سيفَك يأنفْ ثانيةً غِمْدَه
فلعلّ الدنيا تقبلُ منك العودة ..
لعلّ الدنيا تقبلُ منك العودة !

٢ـ١٢ـ١٩٩٩

* * *



فاصلة الموج والزمان

البحارُ التى تتقافزُ بين العيون
وتدركُ أين الطريقُ إلى كُوّة القلب
البحارُ.. البحارُ..
أنا شوقُ ملاحها المُتَلَحِّفِ بالجمر
يشتعل الحرفُ.. يطلقُ بوحًا
ويُشرقُ موجًا..
ولا يطلبُ الشطّ
لكنه عاشق للغرق..

وأنا زورقى ألفُ فاصلة .. وحنين..
لا أُسلّم أشرعتى للفَرَقْ
وأراه ـ الزمانَ ـ على مهبطِ الموجِ
يحصُدُ نبضِىَ
يحصدُ لهفةَ عينىَّ
لكننى لا أعيرُ له نظْرتى
وأظلّ أشقُّ عبابى .. بحرفى النَّزِقْ
ـ كم أرى جانبى وجهَ هذا الزمان
يمزّق أشرعةً
وعلى جمره تحترقْ
ثم يضحك من قلبِه فائزًا
فى سباقٍ .. يظلّ به العاصفَ المنطلقْ
تتناثرُ من حوله مُهَجٌ صاديات
وعيونٌ ـ برغم ملوحتها ـ عاشقاتْ
وألسنةٌ لم تزلْ تتشوّقُ للبوحِ
لم تختنقْ..
وأنا لا أزال أحاولُ أصلحُ أشْرعتى
وألملمُ ما يتناثرُ حوْلىَ..

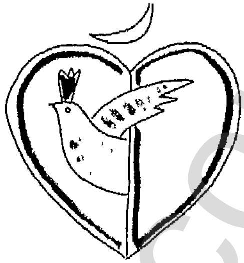
أُخفيه عن عادياتِ الزمانِ
لعلى أرى نجمةً تَهبطُ الآنَ لى
من ظلالِ الأفقْ
فأحاورُها لحظةً
وأحمّلها وزْرَ صمت المدى
وهو يُغفلُ هذا الصدى
وهو لم يستمعْ لصراخ القلوبِ
وقعْقَعةِ الصدرِ حين تكسّرُ فيه الضلوعُ
وبوحِ اللسان.. وشكوى الحدَقْ
فتمدُّ إلىَّ ذراعًا من العشقِ
تجذب أحلامَ تلك الحشاشات
تنفخُ فيها الرمقْ..
- هاأنذا الآن
ضاعتْ خرائط موجىَ
لكننى مبحرٌ خلفَ نبضى القَلِقْ
ربما يصمدُ الغدَ زورقُ شوقى
فلا ينْصَعِقْ
ربما.. ربما.. ينسَحِقْ..

* * *

ربما.. ربما..!

١٧_٤_٢٠٠٠

* * *



لؤلؤة العينين

أترى..
صمتتْ كلماتى فجأة..
أم صارتْ أحجارًا تتحشرجُ
فى حلْق الصقر..
فيعجِز عن صيد فريسَتِه
فى البر.. أو البحْر..
أم صارتْ كلماتى نهرًا يجرى بمياه آسِنةٍ
لا تتبدّل..

أم أشهدُها سحبًا.. لا تهطلْ
- أفتحُ لؤلؤةَ العين الآن
أحْسَبُها تتقعر حتى تُمسِكَ
بنجوم الكون..
بأمواج البحر..
بأوتاد الأرضْ
لكنْ كلماتى ذابتْ فى صَهْد الشمس
وغاضتْ فى ليل عبابِ البحر..
فتخلّق منها وحشٌ الزمنِ
يُسَدِّدُ لى أنيابًا ومخالب
حملتنى من أرضى الوادعة
إلى أقصى قطب ما وطئتْه قَدمان..
قلتُ له: ما ذنبى؟
قال: جريرتك الكلماتُ المسْنُونة
فلماذا لا تتوقف عن نبْشِ رماد الصمت
قلت له: ألبَسُها - كلماتى - جلدا
أتغذاها فاكهةً
أتذوقُها خمرًا

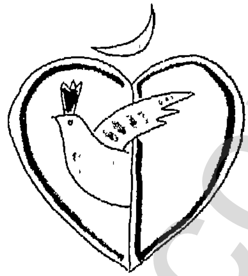
تنشُلُنى من عثرة قدمىّ
تضىءُ لقلبى النبضْ..
قال: تحمّل ـ ما دمت على عهدك ـ
ذبْحَ القلب..
وسفكَ الخطو..
....
أدرك أن الزمن له عشرةُ أوجه
بعضٌ منها فى صدره..
وبعضٌ.. خلفَ قفاه..
وأربعةٌ فى كفيْه وفى قدميْه..
وأنا لا أملكُ من كلماتى
إلا الوجه الواحد..
فماذا لو أن الزمنَ اغتالَ خُطاى
وتعثرتُ بوجهى فوق الرمل..
وتحسّسْتُ بأظفارى الكلمات الباقيةَ
فألمسُها صارت أحجارًا بادرةً
لا تتفجر..
ماذا عن وجهى..

ولؤلؤة العينين..

صارت غائمةً بين غبار الصمت!

٣ـ٥ـ٢٠٠٠

* * *



رعشة فى الأفق

منذ أن كان فرخًا
يدثِّره العشُّ..
قدَّ من القشِّ أحرفَه وكساها من الطينِ
فانطلقتْ فى الفضاءِ منارًا
وأشعلتِ الغيمَ نارًا
فأسقطتِ الشهبَ تحرقُ عشبَ الجداولْ
كان عليه يقيمُ السدود ويختزن الماء
حتى زمانِ جفاف الحواصلْ

لكنّ عصْفَ الرياح استباحَ خُطاه
فشقّق حلمَ الطفولة
لم يبْقَ منه سوى رعشةٍ في الأفقْ
عاريًا يقفُ الآن.. لا شمسَ تُدفئوه
لا توقّدَ في القلبِ يُشْعِلُهُ
غيمةٌ النارِ خامدةٌ
وهو يأبى الرحيلْ..
كان قد غرَسَ الأمسِ في قدمْيه
انتماءَ الضلوعِ إلى أرضِه المُخْصبَة
كان قد فجّر الأمسِ صمتَ الحَصَى
في الخُطَى المُتَعبة
مرةً ألفَ الموج..
والبحرُ لا يدركُ الألفةَ الوادعة
ظنَّ أن جناحَيْه أشرعةٌ للرّياح
وأحرقَه شرنقاتٌ لأفراخِه القادمة
وما اتخذ الأمسَ حصنًا
وما اتخذ الغدَ حضنًا
فإذا البحرُ يشحذُ أنيابَه

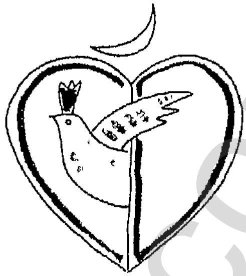
ويفتِّتُ أحَلامَ ملاحِه
فوق شاطِئه..
فتغيم شموسٌ..
ويهدأ موجٌ..
ويقبلُ ليلٌ يمدّ ولائمَه القاتلة
- هل يعودُ إلى عشّه الفرخُ ثانيةً
أم تولاّه هذا الدوارُ اللعين..
هل تذكّر حين خطا فى الوهادِ فتًى
أم رأى ذكرياتِ الصبا..
قد أطلّت مراوغَةً بين أحجارِ ماضى السّنين
فانطوى وجهُ تلك الحروفِ التى تستعيد الحنين..
إنه الآن يشقى بحلم الطفولةِ
يغرس فى الطمى أقدامَه..
والجداولُ تنكره..
لم يعدْ ماؤُها الماء
والعشبُ.. ما عاد عُشْبًا
فكيف له أن يظلّ كما كان
فرخًا يدثّره العشّ

يغرس فى قدميه انتماءَ الضلوع

إلى أرضه المخصبة!

٢٥_٦_٢٠٠٠

* * *



نبوءة الشعراء

أترى.. كفَّ الشعراءُ الآن
أن يغتبطوا بالشمسِ
وأن تنثالَ قصائدُهم مطرًا
تتطهرُ فيه الأرضُ
ويشفَى فيه القلب!
أتراهم عجزوا عن رسم غدٍ يخصبُ
فى زمن الجدب..
وتوارتْ فى الليل نبوءتهم

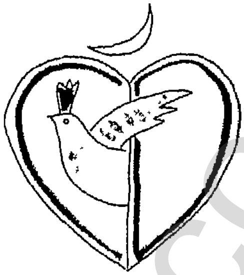
فى أحضانِ الأعشاش الخربة
أترى.. ثقل عليهم أن يتغنَّوْا بالحب
خنعُوا لسياطِ الزمن
فأدموْا أوراقَ قصائدهم
فإذا جفّت صنعوا منها أدمغةً
ودُمًى جوفاء..
ورضوا أن تشْقى أحرفُهم
فوق جدار الصَّلْبْ!
ظل الشاعرُ زمنًا يحرقُ جلدَ الخوف
ويمزقُ أقنعةَ الصمت
فتسرى النشوةُ فى أضلعه
فيصيرَ إلهًا بشريا..
وإذا الشعر جوادًا يصهلُ بجناحيْن
ولا يخشى الصعْبْ..
فلماذا انكفأ اليوم سقيما
لمخالبِ هذا الزمن
ودقّ على درب الصمت هزيمتَه
واستسلم للكربْ..

ماذا لو نبحتْ فى الأرض
كلابُ الشكوى والبلوى والقهْر
فتجفَّ حواصلنا من ماء النهر..
أترى من سوف يلقّن أطفال الدنيا
فى غدنا..
أن الخصبَ يدوّى فى صمتِ القحط..
وأن الكرْمَ إذا لفحتْه الشمس
ينْدى فى قلب الحِصْرَم..
وأن النارَ تشبّ لهيبًا
-إن شئنا- فوق الثلج..
أترى .. سوف نرى حين يجفّ الشعر
ألسنةً أخرى تحملُ شمسَ نبوءاتِ الغد
أترى..
من أين تجىء..
وقد دميتْ ألسنةُ الحب
وشُنِقتْ فى الصمتِ حلوقُ الشعراء
أترى.. من أين تجىء
من أين تجىء

من أين؟!

٧ـ ١١ـ ٢٠٠٠

* * *



العصيان والمنفى
[إلى عبدالوهاب البياتى]

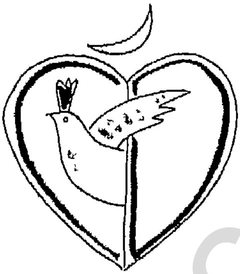
- أكنت تدرى أننا سنفترقْ
حين التقينا منذ عام
وضعتَ كفك اليمنى على قلبكَ
حدّقتَ بعينيك إلى المدى
حبستَ آهةَ الألم..
ساعتَها تراجع الموتُ وعضّ إصبعه!
وأعلن الندمْ..
- أكنت تدرى

أن قلبك الذى أحبّ هذه الحياة
سوف يحب الموتَ يومًا
فتمتطى حصانكَ الأشهبَ راحلاً
ومعلنا هذا السأم..
أكنت تدرى..
أن رفاق الدرب منذ حين
تساقطُوا الواحدَ بعد الآخر
وكنت كلَّ مرةٍ تقطفُ زهرةَ البسْتان
تغمرها بالدمعِ والأسى
لكى تظلّ فى المثوى تغنى الشعر
ترفضُ العدم
أكنت تدرى..
أن أصدقاءك الذين كانوا قد أحبوكَ
تفرقوا..
فبعضُهم آثر صمتَ القلبْ
وبعضُهم قطّع ما بينكما من الرحِمْ
- أكنت تدرى
أن كل خطوةٍ خطوتَها

تزرعُ فيها الشعرَ والعشقَ
تجفّ الآن..
تقصف الأقلامَ
تقهرُ الهممْ..
.اليوم يبقى منك
ما يبقى من الفرسان حين يسلمون النبضَ
فى شممْ..
ليوم إن توقّفَ القلبُ عصيّا
فلعلك الآن تجرب العصيانَ
فى منفاك..
.ما لم يأت من قبلُ أتاك
يحمل سرّ المدن السّبع
و سنوات الضوء
و مملكة البحر..
و سنابلَ الحكم!

١٩٩٩-٩-٣

* * *



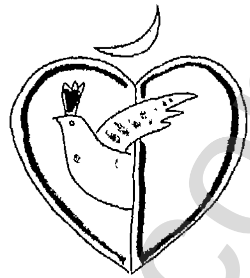
الخـرس

أوراقى.. بيضـاءُ.. وصفراءُ
وسـوداءْ..
ولقاءاتى.. فوق براكين الوهـم
وفوق جماجم إخوتىَ الشـهداءْ
وسـلامـى.. موثوق مثل النور الدائر
فى سـاقية الأهـواءْ..
وسؤالى.. لا يمطر إلا كلماتٍ
سـاخطةً عرجاءْ..

ما بال حمامات القدس احترقتْ
فوق هلال الشّوق
وماذا عن حلم الأطفال الآتى
من بحر دماء الآباء..
تسألنى أمٌّ شربتْ يومًا صفْوَ الماءْ
ثم تكدَّر نهرُ الأرضِ بعينيْها
صار حَصىً.. وشرايينَ ممزَّقةً.. ودِمَاءْ
تسألنى عن غربة صوْتى فى الصحراءْ
تسألنى عن وعْدٍ.. كان القَسَمَ الأوحدَ يومًا
ثم تناثر أعوادًا من حطَبٍ
وبقايا أشلاءْ
وأنا.. أنظُر فى عيْن وليدى
لعلى أقرأ شيئًا من صفحاتِ الزمنِ الآتى
تنشُلنى من خَرَسى
تسألنى.. فأسائلُها
لا نملك إلا الحسْرةَ والصمتَ
وبعضَ الإيماءْ
وأرانى أمْسِكُ قلمى.. لا يُسْعفُنى

أفتحُ أوراقى..
أُنكرها.. تنكرُنى
أغْلقُ مظروفًا يحملُ أوراقًا بيضاءَ
وأوراقًا صفراءَ
وأوراقًا سوداءْ..
وأجادل نفسى محمومًا:
الآن إلى من أرسلُ مظروفى
ومن يقفُ على المعنى من غير حروفٍ
أو إنشاءْ
حِرتُ طويلاً..
وأخيرًا..
وقَّعْتُ على مظروفى باسْمى
وكتبُ عليه: إلى...!
وتركت فراغًا..
لكنى أدركُ أن خطابى
سوف يعود إلىّ
بلا إبطاء!

٣٠-٧-١٩٩٩



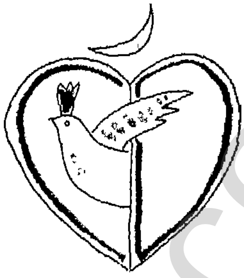
الصقـر

قاطعنى
وأنا أنسجُ للبحر عباءَته
شقَّ قميصى.. أدخل شوكتَه
أخرجَ من جو فى نطفتَه
أطلقها للزمن وللريح..
- قلت: وما ذنبى؟!
وأنا أبغى للسيف بنوءَته
للورد وسيلتَه

للجسد المنهار.. مهابتَه
ـ قال: ابحثْ عن سمْتكَ فى التيه
وفى كتب الموتى والَأحياء
وفى ما حولكَ من أشياء
ـ ماءتْ فى صدرى قططُ الجوع
وصكّتْ أذانَ القلبِ مناقيرُ الكلمات
طأطأت برأسى
أقرأ نفسى:
(غام الماضى والحاضرُ والمأمولْ
غاب السائلُ والمسئولْ
اختلطتْ عندى العلةُ والمعلولْ
داس القاتلُ رأسَ المقتول..).
ـ أمسكتُ بنصلْ العينين
توهّج.. يتلوى حول حلُوق المقهورين
دسسْتُ النصلَ
تقاطر فوق الأوراق الخرساء
وفوق خطوط الكفّيْن
ـ باغتنى الصقر القابعُ زمنًا

فوق المئذنة بلا صوت..
كنا نحسبُه حجرًا
أو طميًا
أو صدءًا
قالوا همسًا:
مسَختْه الجنيَّاتُ وحاصرهُ السَّحَرة
قال الأطفال:
رأيناه فى قلب حديقتنا أعلا الشجرة
لكن لم يعرف فنَّ التَحليق
فصنعْنا من أحجار الشطّ لأنفسنا
قططًا.. وحمامًا.. وصقورا
قال الجد الثالث قبل رحيله:
أوصيكم يا أبنائى بالصقر..
هذا وجهُ الغلبة فوق مآذنكم
قلنا فى داخلنا: أنظِرنا يوم الحشر!
لو أن العالم حقا يتزلزل فى جوفى
يتغلغل فى حرفى
يشعل نُطَفى

لنسجتُ له ألف عباءة
ـ لو أن الزمن يدوى منفجرًا
أشهد فيه الميزان
أشهد فيه الظلمَ
العدلَ
وليل الأحزان
تتوهج فيه اللوحة والألوان
ـ لو أن الحشرَ يجيء
لشهدتُ به الوطنَ الغائب
والحكمةَ
والثأر
وأوجاع الإنسان!



الدُّمى والحجارة
[إلى الطفل الذى ولد رجلاً]

لونُه عاصفة
صوتُه لهبٌ.. ورؤى جارفة
ضوءُ عينيه.. لؤلؤةٌ قاصفة
أسْقط الوهمَ.. والسُّقْم.. والعُجْمَ
واستلهمَ النطفَ النازفة..
شقَّ صدرَ الفلاةِ
وألقى النُفاياتِ
سدّد من دمِه الضربةَ الخاطفة

ثمرُ الغابِ بين يديه..
وصبارةُ الموت
والظلُّ ـ وحشًا ـ
إنه الآن ينحتُ صخرتَه النَّاسِفَة
ثم ها هو ينفخُ فيها..
فتعلو على الرملِ مَرقأةً
ودماءُ البراءةِ تقطُر منها..
وصمتُ التواريخ..
صوتُ الشهيد المعذبِ
والعربى الذى أسْكنَ البغْضَ قلبَ أخيه
فأدماه فى التيه..
ونحن على ضفة البحر نحتضن الموجةَ الخائفة
نتساءل: نسقط أم يسقط المعتدون
ونجلس حول الموائد
والحلم منكسر فى العيونِ
وريح الأسى فى المدى عاصفة
فوق تلك الدروبِ المتاريسُ
والعسسُ المتسربُ بين سطور هُويتنا

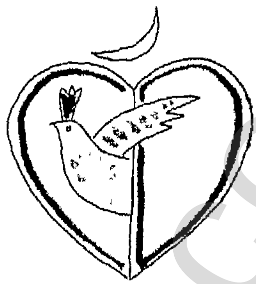
ويضيقُ بنا الدربُ
يقطعُ نصفَ اللسانِ
فهل أقبضُ العربيةَ بين شفاهى
لتصبحَ عبريةً أو بقايا رماد
ولا شىء يبقى من الحلم
غيرُ دموعِ أحبتىَ الراجفة
- أيها الطفل..
يا رجل الحلم.. ياغَدنا المشتهى
قدعجَزنا عن الحب..
جفَّ بنا الدمعُ.. والنبعُ..
كن جمرةً قاصفة..
كل شىء لدينا ذبُل..
الوصاياً.. طلَلْ
وخطانا.. زلَلْ
والحكايا.. ملَلْ
والمدى يشتعلْ
أترانا بكينا البكارةَ وهى تُفَضُّ
بأعيننا الطارفة

أترانا ألِفْنا المحاجاةَ دهرًا
وحين سئمنا..
انصرفنا إلى حِكَم الكتب التالفة
أهو الجوعُ قبلتنا
أهو الوطن المستباحُ
تموتُ العصافيرُ فيه.. نغنّى
وتجرى بأنهاره كل يومٍ دماه..
نغنّى..
وتشنقُ فيه الحلوقُ.. نغنى
وأحرُقنا فوق أوراقنا واجفة
- أيها الطفل..
يا رجلَ الحُلم
يا لونَنا المشْتهى
لا تُعرْنا التفاتًا
ولا تَدعِ الموتَ يزحفُ قَبْلَكَ
وحدَكَ..
وحدَكَ أنتَ اللهيبُ المقدسُ
لا تنتظرْنا

فنحنُ دمًى زائفة!

٣٠_١٢_٢٠٠٠

* * *



أعمال الشاعر

الأعمال الشعرية:

* الطريق والقلب الحائر - دار الكتاب العربى ١٩٦٧.
* الهجرة من الجهات الأربع - مؤسسة التأليف والنشر ١٩٧٠.
* البحث عن الدائرة المجهولة - دار النشر العربى ١٩٧٣.
* الليل وذاكرة والأوراق - مكتبة مدبولى ١٩٧٧.
* الخروج إلى النهر - هيئة الكتاب ١٩٨٠.
* السفر والأوسمة - دار الشروق ١٩٨٥.
* العطش الأكبر - مكتبة مدبولى ١٩٨٦.
* الشوق فى مدائن العشق - هيئة الكتاب ١٩٨٧.
* قراءة فى كتاب الليل .. - دار الشروق ١٩٨٩.
* الأعمال الشعرية جـ١ (٨ دواوين) - هيئة الكتاب ١٩٩٢.

* شظايا ـ دار الشروق ١٩٩٣.
* الزمان العصى ـ هيئة الكتاب ١٩٩٥.
* الرحيل إلى المدن الساهرة ـ هيئة قصور الثقافة ١٩٩٧.
* لزوميات ـ هيئة الكتاب ١٩٩٧.
* الأعمال الشعرية جـ٢ (٥ دواوين) ـ هيئة الكتاب ١٩٩٩.
* جناحان إلى الجوزاء ـ دار قباء ٢٠٠٠.

المسرح الشعرى:
* أخناتون ـ دار المعارف ١٩٨٢.
* شهريار ـ هيئة الكتاب ١٩٨٣.
* الفارس ـ هيئة الكتاب ١٩٩٥.
* الأعمال المسرحية جـ١ (٣ مسرحيات) ـ هيئة الكتاب ١٩٩٩.

دراســات:
* شعرنا القديم رؤية عصرية ـ المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨١.
* المرأة فى شعر البياتى ـ هيئة الكتاب ١٩٨٤.
* أطفالنا فى عيون الشعراء ـ دار المعارف ١٩٨٥.
* محمد الهراوى شاعر الأطفال ـ المركز القومى لثقافة الطفل ١٩٨٦.
* التربية الثقافية للطفل العربى ـ مركز الكتاب للنشر ١٩٩١.
* مسلمون هزموا العجز ـ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١.
* عظماء أغفلهم التاريخ ـ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٣.
* مجانين العشق العربى ـ أخبار اليوم ١٩٩٣.
* الإعلام الشعرى فى التراث العربى ـ هيئة الكتاب ١٩٩٥.
* الفكر الإسلامى فى ثقافة الطفل العربى ـ مركز الكتاب ١٩٩٧.

* محمود سامى البارودى ـ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٨.
* قيس بن الملوح ـ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٨.
* عنترة بن شداد ـ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٨.
* شعراء العمر القصير (٢ جـ) ـ الدار المصرية اللبنانية ٢٠٠٠.

الأطفال:

* حكايات من ألف وليلة وليلة (٥ حكايات) ـ دار الشروق ١٩٨٠.
* عشر مسرحيات شعرية ـ مؤسسة الخليج العربى ١٩٨٧.
* حكمة الأجداد (قصص ٣٠ مثلا عربيا) ـ مؤسسة الخليج العربى ١٩٨٩.
* أبو العلاء المعرى ـ دار المعارف ١٩٩٣.
* مدائن إسلامية (٨ كتب) ـ سفير ١٩٩٣.
* طفولة عظماء الإسلام (٨ كتب) ـ سفير ١٩٩٣.
* أتمنى لو (قصائد) ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤.
* ديوان الطفل ما قبل المدرسة ـ التربية والتعليم ١٩٩٥.
* بستان الحكايات (١٠ قصص شعرية) ـ قطر الندى ١٩٩٦.
* ديوان الطفل العربى جـ١ ـ دار الشروق ١٩٩٧.
* تعالوا نغنى حروف الهجاء ـ المكتب العربى للنشر ١٩٩٧.
* أنا وأصدقائى (شعر) ـ هيئة الكتاب ٢٠٠٠.
* أحب أن أكون (شعر) ـ الدار الثقافية ٢٠٠١.



قصائد الديوان

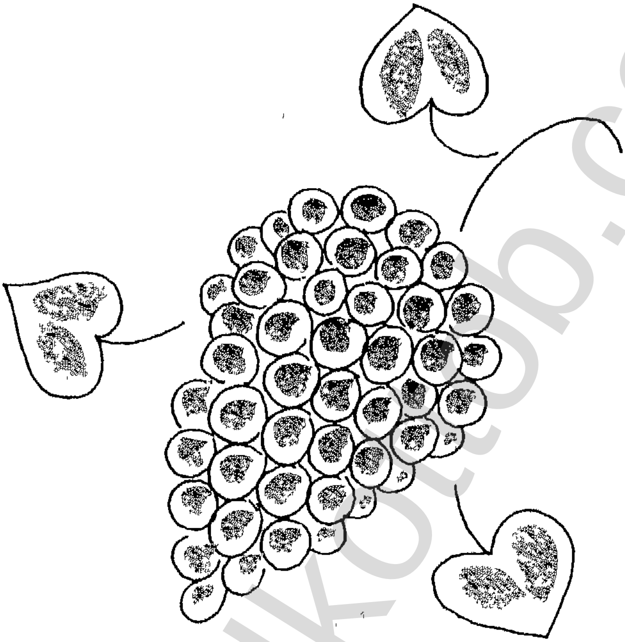
ـ البـدء ٥
ـ عـودة ٨
ـ اللقـاء ١١
ـ الوعد والميلاد ١٤
ـ لهـفـة ١٨
ـ عـروتنا وثقى ٢٠
ـ عودى لأشعارى ٢٢
ـ الخلود ٢٥
ـ أمثولة ٢٧
ـ السـر ٢٩
ـ قـيثـارة ٣١

- صورة [عن لوركا] ٣٣
- احتواء ٣٥
- احتراق ٣٧
- تميمة ٣٩
- طقس ٤٢
- النبوءة ٤٥
- غزالة ٤٨
- الجوقة ٥٠
- النشيد ٥٢
- لحظة دفء ٥٥
- قول وقول ٥٨
- الرهان ٦٠
- الارتحال فى شرايين الجسد ٦٣
- الميلاد الآخر ٦٧
- مملكة النار والأشجار ٧٠
- فاصلة الموج والزمان ٧٣
- لؤلؤة العينين ٧٧
- رعشة فى الأفق ٨١
- نبوءة الشعراء ٨٥
- العصيان والمنفى [إلى عبدالوهاب البياتى] ٨٩
- الخرس ٩٢
- الصقر ٩٥
- الدمى والحجارة [إلى الطفل الذى ولد رجلا] ٩٩
- أعمال الشاعر ١٠٥

رقم الإيداع ٢٠٠٢/٣٢٩١
الترقيم الدولى 7 - 0803 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت.٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف . ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

www.alkottob.com



دار الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب: ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨٠٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)